جماليات الالتفات السردي والحوار في الخطاب النسوي

د. سرى سليم عبد الشهيد المعمار
جامعة بابل / كلية الادارة والاقتصاد

The aesthetics of narrative attention and dialogue in feminist discourse

Dr. Sura Salim Abdul Shaheed Al-Mimar
University of Babylon / College of Managment and Economics
Email:bus.sura.saleem@uobabylon.edu.iq

Abstract
The study aims to shed light on the aesthetics of dialogue and attention in the poetry of Lamia Abbas Emara, Nazik Al Malaika, and Malak Abd El Aziz in their expression of their suffering in society, and their handling of many women's issues, as poetry is the poet's tool for expressing his thoughts and suffering in society, and the study included Two axes: the first is theoretical about the concept of paying attention, and the feminist discourse, and the second is applied, based on an applied study of the contents of the feminist discourse through the poetic models presented by Lamia Abbas, Nazik Al-Malaika, and King Abd El aziz in their handling of many women's issues.
Keywords: Poetry, feminist discourse, attention, dialogue, narration, Lamia Abbas Emara, Nazik Al-Malaika, King Abdul Aziz.

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على جماليات الحوار والالتفات في شعر لميعة عباس عمارة، نازك الملائكة، وملك عبد العزيز في تعبيرهم عن معاناتهم في المجتمع، وتناولهم للكثير من قضايا المرأة حيث أن الشعر هو أداة الشاعر للتعبير عن أفكاره ومعاناته في المجتمع، وقد اشتملت الدراسة على محورين: الأول نظري عن مفهوم الالتفات، والخطاب النسوي، والثاني تطبيقي يرتكز على دراسة تطبيقية لمضامين الخطاب النسوي من خلال النماذج الشعرية التي قدمتها كلاً من لميعة عباس، نازك الملائكة، وملك عبد العزيز في تناولهم للعديد من قضايا المرأة.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الخطاب النسوي، الالتفات، الحوار، السرد، لميعة عباس عمارة، نازك الملائكة، ملك عبد العزيز.

أولاً: مقدمة الدراسة:

شكل الأدب النسوي تجربة ذاتية للمرأة تقوم على أسس معرفية وثقافية، ترتكز على التجارب النفسية والفكرية والاجتماعية، فكان للمرأة عدة مواقف كشاعرة وأديبة تؤكد حجم مواجهتها في المجتمع الذي تعيش فيه، وهو المنطلق الأساس في أدبية المرأة وتشكل الخطاب الإنساني النسوي الذي ينطلق من نقطة الذات إلى نقطة الوعي الجمعي، وأيضًا تشكل المرجعية الخاصة بها في القول الشعري والقول النثري.

إن النظر إلى الأدب النسوي من زاويتين هما: الأولى الوجود الإنساني للمرأة وتحققه داخل المجتمع، والثانية الهوية الذاتية للمرأة الشاعرة، وقد انخرطت المرأة في المجتمع وشاركت في العديد من الميادين، وقد حمل الشعر النسوي ملامح إنسانية واضحة في شكله ومضمونه وتنوع قوالبه الشعرية، إذا كانت الشاعرة تعبر عن رغبتها في أن تنبثق في هذا العالم حضورًا فاعلاً، وصوتًا مسموعًا، ورؤية ناقدة مشرعة على الواقع والمحتمل والممكن،

وكم تبنت المرأة الكتابة آلية دفاعية عن ذات مهمشة، مقهورة، مكبلة بإرث ضخم من الممنوع والمحرم فرضه عليها الرجل، لكنها كانت وما تزال تناضل للتحرر من السلطة الذكورية.

إذن فقد كتبت المرأة وأوقدت ذاتها في هذه الكتابة لتفجر المكبوت والمخفي والمتراكم عبر الزمن لتعلنه صراحةً في حوارها أو صراعها مع الرجل ظنًا منها أنها بهذا الفعل تكتب صك انعتاقها وخلاصها من السلطة الذكورية.

ثانيًا: مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة فيما واجهته المرأة الأديبة من صد ومعارضة من قبل النقاد المتعصبين ضد أدب المرأة انطلاقًا من تأثرهم الذكوري، وهنا كان على المرأة أن تحقق ثورة في مجال اللغة لتتحرر من أعباء اللغة الذكورية التي عانت من وطأتها دهورًا وذلك بأن تبتدع لغتها الخاصة بها معترضة على هيمنة اللغة الذكورية على الخطاب الإبداعي عبر التاريخ، ومن هنا نرى جاءت الدراسة لتبرز مدى جماليات الحوار في شعر الشاعرات لميعة عباس عمارة، نازك الملائكة، وملك عبد العزيز في تصوير العديد من قضايا المرأة.

ثالثًا: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن جماليات الالتفات السردي في الخطاب النسوي عند كلاً من لميعة عباس عمارة، نازك الملائكة، وملك عبد العزيز، وتحليل شعرية هذا الخطاب النسوي، بالإضافة إلى عرض مقاربة في التحليل لأشعارهم وكيف كان تناول كل شاعرة للعديد من الموضوعات التي ترتكز حول المرأة.

رابعًا: أهداف الدراسة:

1. التعرف على النقلة الحقيقية للشعر على يد شاعرات تجاوزت التقليد واتخذن اتجاهًا شعريًا جديدًا يعبر عن الانفتاح الذي نعيشه اليوم.
2. دراسة قضايا المرأة التي تناولتها الشاعرات لميعة عباس عمارة، نازك الملائكة، ملك عبد العزيز كالمرأة الأم، والمرأة الكادحة، والمرأة المناضلة، والمرأة العاشقة وغيرها.
3. تحليل الأبيات الشعرية وتفسيرها وتوضيح جماليات الحوار والالتفات في أشعارهم.

خامسًا: منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي من أجل الوقوف على مواطن الجمال للالتفات السردي في الخطاب النسوي مع الاستشهاد بالكثير من الأبيات الشعرية وشرحها وتفسيرها لكلاً من لميعة عباس عمارة، ونازك الملائكة، وملك عبد العزيز التي مثلت أهم الأدوار التي لعبتها المرأة في حياتها بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام بما شغلته من مهام أثرت فيه تأثيرًا كبيرًا.

سادسًا: الدراسات السابقة:

1. دراسة "رشا غانم" بعنوان "الشعر النسوي في العراق في تحليل الخطاب الشعري" عام 2019م[1]، وقد هدفت الدراسة إلى الوقوف على وسائل التعبير عن النفس التي تتخذها الذات الشاعرة لتعبر عما بداخلها، ويهتم البحث بالشعر النسوي العراقي وكيف عبرت الشواعر عن حقيقة ذواتهن في ظل مجتمع عراقي يتهاوى مليء بالمنغصات التي علقت في ذاكرتهن الشعرية فكان خطابهن الشعري

[1] رشا أبو بكر سعد غانم، الشعر النسوي في العراق "قراءة في تحليل الخطاب الشعري"، المجلة العربية مداد، ع6، إبريل 2019م.

أكثر إثارة ورصدًا للواقع، وقد خلصت الدراسة إلى أن الشعر النسوي في العراق كان معبرًا للمرأة في كل حالاتها، وقد حمل الشعر هموم وطنه ومحنته الغائرة ومعاناته الحياتية في اللحظة الراهنة.

2. دراسة "منى صالح حسن الدجيلي" بعنوان "صورة المرأة عند الشاعرة لميعة عباس عمارة"[1]، وقد هدفت الدراسة إلى تحليل صورة المرأة عند الشاعرة وأهم دلالاتها (الأم، الحب، المرأة الكادحة وغيرها)، وقد خلصت الدراسة إلى أن صورة المرأة المناضلة الكادحة العاشقة هي وسيلة من وسائل التحرير، كما تميزت لغة لميعة بالرقة والعذوبة والأنثوية الشديدة العاطفة التي تعكس شخصيتها وثقافتها العراقية الجنوبية.
3. دراسة "فوزية بنت ناصر العندس" بعنوان "قضايا المرأة عند الشاعرة العربية المعاصرة: أربع شاعرات نموذجًا" عام 2017م[2]، وقد هدفت الدراسة إلى دراسة شعر المرأة العربية المعاصرة دراسة موضوعية بهدف استجلاء قضايا المرأة التي تلامس كيانها وتعبر عنها، وجاء تأطير البحث بناءً على أساسين: فالأول هو الانصراف عن الجيل التقليدي، والثاني اختيار عدد من الشاعرات المعاصرات اللاتي يمثلن الاتجاه الحديث وهم: نازك الملائكة، ملك عبد العزيز، فدوى طوقان، وسعاد الصباح، وقد خلصت الدراسة إلى أن المرأة المعاصرة استطاعت أن تقتحم ميدان الابداع، وأن تترك فيه بصمات واضحة بنتاج شعري ذي هوية مستقلة متميزة عن نظيره من ابداع الرجل.

أولاً: مفهوم الالتفات:

1. المفهوم اللغوي:

أطبق أصحاب المعاجم على أن الالتفات هو صرف الشيء عن وجهته إلى أخرى، سواء أكان ذلك فيما تعلق بالجهات أو الأمور المعنوية كالآراء والأحاسيس وغيرها، فقد جاء في لسان العرب: لفت وجهه عن القوم: صرفه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، واللفت: لي الشيء عن جهته كما تقبض على عنق انسان فتلفته، ولفت الشيء وفلته إذا لواه، واللفت الشق، وقولهم: لا يلتفت فلان أي لا ينظر إليه[3]، ويقال ورجل ألفت: أحول وتيس ألفت: ملتوي القرنين[4].

وقال الفيروز آبادي (ت 817هـ): "لفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه، ومنه الالتفات والتلفت"[5]، كما ذكر ابن فارس: "الألفت الرجل الأعسر واللفتية الغليظة من العصائد؛ لأنها تلفت أي تلوي ولفت اللحاء عن الشجرة قشرته"[6].

---

[1] منى صالح حسن الدجيلي، صورة المرأة عند الشاعرة لميعة عباس عمارة، جامعة الكوفة- كلية التربية للبنات، دون سنة النشر.

[2] فوزية بنت ناصر العندس، قضايا المرأة عن الشاعرة العربية المعاصرة: أربع شاعرات نموذجًا، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل- العلوم الإنسانية والإدارية، مج 18، ع2، 2017م.

[3] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار احياء التراث العربي- بيروت، 1419هـ/ 1999م، ص 389- 390. (مادة لفت).

[4] أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الشركة الدولية للطباعة- 6 أكتوبر، القاهرة، دون سنة النشر، ص 347. (مادة لفت).

[5] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط6، 1419هـ/ 1989م، (مادة لفت).

[6] أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج5، دار الفكر- القاهرة، 1979م، ص 258.

مما سبق يتبين لنا مادة "لفت" دلت على المعاني الآتية: القبض والصرف والفتل، والخلط، واتخذت هذه المعاني اللغوية وجهات مختلفة في البلاغة العربية إذ اتصلت بالجهد والقوة، وبالسلب والايجاب، وبالاستجابة النفسية والسلوك الإنساني؛ لأنها حصلت معنى الجهد والقوة والمعاناة.

2. المفهوم الاصطلاحي:

قديمًا نلاحظ أن هناك العديد من التعريفات للالتفات، فمن العلماء القدامى من تناوله تحت مبحث البيان، ومنهم من جعله تحت مبحث علم المعاني، وآخر جعله تحت مبحث علم البديع.

فنجد ابن معتز (ت 296هـ) في كتابه البديع حيث تناول الالتفات تحت ما يسمى "محاسن الكلام" بقوله: "وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار، وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[1].

أما عند أبو هلال العسكري (ت 637هـ) فقد عد الالتفات من البديع لكن تقسيمه كان أدق وأوضح إذ قال "الالتفات على ضربين، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعني فإذا ظننت أنه يريد أن يتجاوزه يلفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به، والضرب الآخر أن يكون الشاعر أخذًا في معنى وكأنه يعترضه شك أو يظن أن ردًا يرد قوله أو سائلاً يسأله عن السبب فيعود راجعًا إلى ما قدمه، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه"[2].

أما حديثًا فالالتفاف من الظواهر التي تتحكم في الأساليب بصيغة الحضور الفاعل والمؤثر، وكأن الالتفات وهو يواصل أداء دوره الفني يحقق الاستجابة الطبيعية لنزوح الانسان إلى التنوع والتجديد في أساليب تعبيره وصيغ كلامه[3].

ويمكن تتبع مصطلح الالتفات في المرجعية الاصطلاحية الحديثة وبالتحديد في ميدان علم الأسلوب، إذ يعد من الظواهر التعبيرية التي يعني بها علم الأسلوب، وهو يعني بحسب ما جاء عند مجدي وهبة "الانتقال الفجائي في أثناء الكلام إلى مخاطبة شخص أو شيء حاضر أو غائب ويطلق الآن عادة على مخاطبة شخص غائب أو معنى مجسد"[4].

ويراه محمد السيد شيخون بأنه: "فن من البلاغة ملاكه الذوق السليم، والوجدان الصادق، ويلقب بالشجاعة العربية.. وهو من قبيل خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو عند جمهور البلاغيين: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[5].

ثانيًا: مفهوم الخطاب النسوي

1. مفهوم الخطاب لغة واصطلاحًا:

ورد الخطاب في معاجم اللغة بمعان عدة، منها ما جاء في معجم لسان العرب بأن "الخطب: الشأن أو الأمر صغُر أو عظُم، وتقول: هذا خطب جليلٌ، وخطبٌ يسير، والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع ونحوه، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر"[1].

---

[1] عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، كتاب البديع، تح: اغناطيوس كراتشفوسكي، دار المسيرة- الكويت، دون سنة النشر، ص 58.

[2] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، 1419هـ، ص 392.

[3] جليل رشيد فالح، فن الالتفات في مباحث البلاغيين، آداب المستنصرية- بغداد، العراق، 1984م، ص 66.

[4] مجدي وهبة، كامل المهندي، معظم المصلحات العربية في اللغة، مكتبة لبنان- بيروت، 1979م، ص 58.

[5] محمود السيد شيخون، البلاغة الوافية، ج2، مكتبة الكليات الأزهرية- الأزهر، القاهرة، 1988م، ص 121.

وجاء في المعجم الوسيط: "الخطاب: الكلام، وفي التنزيل: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (سورة ص: 23)"[2].

وقد تعددت تعريفات الخطاب في الاصطلاح، ومنها:

1. رسالة من الكاتب إلى القارئ[3].
2. توجه القائل بالقول إلى المتلقي بغرض افهامه مقصودًا معينًا[4].
3. بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالي[5]، أي بشكل مقدمات ونتائج[6].
4. مجموع خصوصي لتعابير تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الأيديولوجي[7].

2. مفهوم النسوي لغة واصطلاحًا:

فقد جاء في الصحاح: "نسا: النِسوة والنُسوة بالكسر والضم، والنساء والنسوان: جمع امرأة من غير لفظها، كما يقال خلفة ومخاض، وذاك وأولئك"[8].

وجاء في لسان العرب: "النساء جمع نسوة إذا كثرن"[9].

وجاء في القاموس المحيط: "النسوة والنساء والنسوان جموع المرأة من غير لفظها والنسبة: نِسويٌ"[10].

أما من ناحية معنى النسوية اصطلاحًا، فهي:

1. النسوية بالمعنى الضيق يشير إلى محاولة الحصول على حقوق سياسية وقانونية مساوية للنساء، في حين يشير معناه الواسع إلى كل نظرية تعتبر العلاقة بين الجنسين علاقة اجحاف وإخضاع، أو اضطهاد، وتحاول تحديد وعلاج مصادر ذلك الاضطهاد[11].
2. النسوية هي نُصرة حقوق النسوة، ويعبر بها لوصف الأفكار والأفعال المؤيدة للنساء منذ الأزمنة القديمة وحتى الوقت الحاضر[12].
3. تطلق النسوية على وصف الأفكار والحركات التي تتخذ من تحرير المرأة أو تحسين أوضاعها بعمق هدفها الأصلي[13].

---

[1] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج4، مرجع سابق ص 134- 135.

[2] المجمع اللغوي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، ط4، 1425هـ/ 2004م، ص 251، مادة (خطب).

[3] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، دون سنة النشر، ص 10.

[4] طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربية- الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص 119.

[5] طوني بينيت وآخرون، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، مفاتيح اصطلاحية جديدة، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط1، 2010م، ص 322.

[6] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 10.

[7] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص 83.

[8] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج5، دار احياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1419هـ/ 1999م، ص 1991.

[9] ابن منظور، لسان العرب، ج14، مرجع سابق ص 131، مادة (نسا).

[10] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق ص 1338، مادة (نسى).

[11] لتد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، ج2، المكتب الوطني للبحث والتطوير- ليبيا، دون سنة النشر، ص 925.

[12] طوني بينيت وآخرين، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مرجع سابق ص 683.

[13] ريان فوث، النسوية والمواطنة، ترجمة: أيمن بكر، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط1، 2004م، ص 45.

4. وتعني الاعتقاد بأن المرأة لا تُعامل على وجه المساواة في المجتمع الذي ينظم شؤونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته[1].

وبناء على التعريفات السابقة لكل من الخطاب والنسوية، يمكن تعريف الخطاب النسوي بأنه: بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر تهدف لتحرير المرأة أو تحسين أوضاعها بعمق وفقًا للأيديولوجية النسوية التي أسس عليها.

لقد نظر النقد العربي الحديث إلى أن الإضافات التي صاغها إبداع المرأة من خلال النص العربي بخصوصية تفعل في أدبيته، وتمده بشحنة جمالية فنية وثيمية جديدة، وهذا الاثراء يحدث بتوغل المرأة الكاتبة داخل تلك العوالم التخيلية التي تنطلق من أسئلة شرطها التاريخي لتكتب عن تجاربها الذاتية وتلقي الضوء في غياهب أزمنتها الذاكرية[2].

إن الأدب النسائي يتأسس على خصوصية ترتكز على نقطتين مهمتين:

1. الاختلافات البيولوجية بين الذكر والأنثى التي أقرتها الطبيعة بين الجنسين، والتي تعطي لكل واحد منهما القدرة على فهم المرأة والتعبير عن انشغالاتها والعكس صحيح، وإذا ما عبر أحدهما عن الآخر فهذا لا يعني أنه قد وصل إلى شعوره، ولامس حدوده تجربته الذاتية؛ لأنه في حقيقة الأمر قد انطلق من فكرته عن ذلك الشعور ومن تصوره الخاص عن تلك التجربة لا غير.
2. مرآة الواقع الاجتماعي والتاريخي الذي تعيشه المرأة والذي يجعلها لا تنطلق من الفراغ، وإنما تستند على خلفية ثابتة تساعدها على النقد والتحليل، وتدفعها إلى الشرح والتأويل، وتكشف أمامها حقائق الأمور، وتساعدها على النقد والتحليل، وتدفعها إلى الشرح والتأويل، وتكشف أمامها حقائق الأمور وتساعدها على استجلاء دقائقها والتعبير عنها وفق رؤيتها لها مما يجعل ما تنتجه نسغ الوقائع اليومية والشخصية والسياسية والأمور المصيرية التي لا تهمها وحدها وإنما تهم الشخصية العربية بشكل عام.

ثالثًا: أهم القضايا التي تناولتها الشاعرات:

من خلال هذا البحث نلقي الضوء على أهم الموضوعات التي تناولتها الشاعرات لميعة عباس عمارة، ونازك الملائكة، وملك عبد العزيز، فقد تناولوا صورة المرأة بألوان مختلفة، إنها نسيج من الواقع، فهي أم وزوجة وفقيرة ومعدمة ومناضلة ومتطلعة للحرية وعاشقة، وسأتطرق إلى هذه الصور بالشكل الآتي:

1. المرأة الأم:

الأم هذه المخلوقة الحنون العطوف، منبع الحنان، وأول شلال نستقي منه كل معاني الحب منذ أول صرخة نستقبل بها الحياة ونحن صغار، وهنا تستوقفني مقولة لشاعر بولندي: "إن قلوب النساء لهي كخلايا النحل، إن لم يملأها شهد المحبة وحنان الأمومة استحالت سريعًا إلى أوكار للأفاعي"[3].

فقد صورت لميعة عباس عمارة(*) المرأة وهي ترعى صغارها، والحقيقة أنها عكست صورتها في هذا الاتجاه بوصفها أمًا حنونًا أغدقت على أبنائها كثيرًا من العطف والحنان، فتقول[1]:

---

[1] سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، ترجمة: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط1، 2002م، ص 13.

[2] بثينة شعبان، مئة عام من الكتابة النسائية العربية 1899/ 1999، دار الآداب للنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1999م، ص 241.

[3] ذكريا إبراهيم، سيكولوجية المرأة، مكتبة مصر- القاهرة، دون سنة النشر، ص 120.

أَعِزُّ وَأَنْظُرُ مِمَّا حَلِمَتْ
وَأَغْزَرَ عِطْرًا وَأَحْلَى خُدُودٍ
بِأَسْمَرِهِمْ شَهِدَ رُوحِيُّ مذاب
وَأُبَيِّضُهُمْ مِنْ صَفَاءِ الْوُعُودِ
لِضَحْكَاتِهِمْ رَنَّةً فِي الشُّعُورِ وَقَفْزَاتِهِمْ مَرَحَ الطَّائِرِ
وَأَيْدِيهُمْ كَلَفِيفِ الْحَرِيرِ
تُمِرُّ عَلَى حِسِّيِّ الْخَادِرِ
لِكُلِّ سَنَّاهُ لِكُلِّ شَذَاهِ
كَأَوْتَارِ قِيثَارَةِ الشَّاعِرِ

فالشاعرة جمعت كل الصور البيانية في هذه القصيدة، وقد عمدت إلى اختيار الفاظ موحية لذلك، وتكرار أحرف كان لها أثرها النغمي من ترديداه المتناسقة في تقوية وتعضيد الموسيقى الداخلية، فقد كررت حرف الراء خمس عشرة بالامتداد الأفقي والرأسي، وهذا يمنح النص قوة دفع ايقاعية تساهم في بلورة الصورة وتأثيرها في المتلقي، وتناغي صغيرها بما يفرحه وتدخل السرور إلى نفسه، وذلك مما تسمعه من ألفاظ عذبة رقيقة لطيفة[2]؛ لأن الطفل بطبيعة تكوينه يطرب حين تهدئه أمه، ويزداد سعادة حين تكرر الأم مناغاته، يزداد حبًا لها حين تشبهه بالزهرة أو الغزال أو الفارس الشجاع[3]، فأسمعها تقول له[4]:

يَا خِفَّةِ الْفِرَاشِ وَبَسَمَةِ الْفَجْرِ
يَا زَهْرِ اللَّيْمُونِ يَلْتَفُّ بِالْعِطْرِ
يَا شُعْلَةِ الْبَقَاءِ وَبَهِجَةِ الْعُمَرِ
وَسَنَةَ الْأُولَى تَلْمَعُ فِي الثَّغْرِ
وَالسَّائِلَ الْمَعِيِّيَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
أَحَلَى مِنَ الْحُبِّ أَقْوَى مِنَ السَّحَرِ

(*) لميعة عباس عمارة هي شاعرة عراقية محدثة، ولدت لعائلة صابئية مندائية عراقية في منطقة الكريمات عام 1929م، لقبت بعمارة نسبة لمدينة العمارة التي ولد فيها والدها، حصلت على إجازة دار المعلمين العالية سنة 1950م، وتخرجت في دار المعلمين سنة 1955م، وهي ابنة خالة الشاعر العراقي عبد الرازق عبد الواحد والتي كتب عنها في مذكراته، وقد عاشت أغلب أيام غربتها في الولايات المتحدة بعد هجرتها من العراق في زمن صدام حسين، وقد تبوأت العديد من المناصب منها: عضو الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء العراقيين في بغداد (1963- 1975)، عضو الهيئة الإدارية للمجمع السرياني في بغداد، نائب الممثل الدائم في العراق باليونسكو في باريس (1973-1975)، ومدير الثقافة والفنون/ الجامعة التكنولوجية ببغداد، وفي عام 1974 منحت درجة فارس من دولة لبنان، ولها العديد من الدواوين منها: الزاوية الخالية 1959، عودة الربيع 1962، أغاني عشتار 1969، عراقية 1971، يسمونه الحب 1972، لو أنباني العراف 1980، البعد الأخير 1988.

[1] لميعة عباس عمارة، الزاوية الخالية، مطبعة الرابطة- بغداد، 1959م، ص 58.

[2] إبراهيم محمد صبيح، الطفولة في الشعر الحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدوحة، ط1، 1985م، ص 235.

[3] المرجع نفسه ص 235.

[4] لميعة عباس عمارة، الزاوية الخالية، مرجع سابق ص 61.

فالقصيدة أشبه بالترنيمة مزجت الشاعرة بين جمال الطبيعة وجمال الطفل حتى الأوصاف الجزئية والبعيدة عن الجمال أحيانًا أضافت إليها الشاعرة نكهةً وجمالاً، صورتها لنا مشاعرها الأمومية التي ترى الجمال مطلقًا في الطفل.

وفي لمحات خاطفة تظهر الأمومة عند نازك الملائكة(*) – تكاد تكون يتيمة في ديوانها العامر– وذلك عندما تغني أغنية طفولية ساذجة[1]:

مَامَا مَامَا مَامَا مَامَا
بِرَاقِ الْحلْوِ اللُّثْغَةَ يَنْوِي النَّوْمَا
وَالنَّوْمَ وَرَاءَ الرَّبْوَةِ هَيَّأَ حُلْمًا
وَالْحُلْمَ لَهُ أَجْنِحَةٌ تَرْقَى النَّجْمَا
وَالنَّجْمَ لَهُ شِفَةٌ وَيُحِبُّ اللَّثَمَا
وَاللَّثْمَ سَيُوقِظُ طِفْلِيٌّ
مَامَا مَامَا

وتمضي القصيدة على هذا النحو بأنها تخاطب طفلاً من خلال ذلك التوليد السهل لمعنى من معنى "النوم هيأ حلما، والحلم يرقى النجما، والنجم يحب اللثما، واللثم يوقظ الطفل" في أسلوب سردي يناسب عقلية الطفل الذي يقبض عادةً على آخر كلمة تمس سمعة وبيني منها جملة جديدة، كما يلحظ هنا الخوارق التي دججت بها الشاعرة مقطعها مما يستهوي خيال طفل جامع "النوم وراء الربوة، والحلم له أجنحة، والنجم له شفة"، وكل هذه الخوارق تختزل في حركة مفاجئة ساذجة تدغدغ إحساس الصغير (اللثم).

2. المرأة العاشقة

في صورة المرأة العاشقة باحت الشاعرة لميعة عباس عمارة بمشاعرها المكبوتة بشكوى مريرة لواعج الحب والعاطفة التي عانتها بوصفها امرأة من مجتمع متحفظ بدرجة كبيرة تجاه المرأة عمومًا وتجاه عواطفها وأحاسيسها خصوصًا، والحقيقة أن وعي الشاعرة لدور المرأة وأثرها في المجتمع كان أكبر بكثير من مجرد تصورها عاشقة محرومة تعاني القمع والظلم والخوف من البوح بالمشاعر الجياشة، فقد وعت الشاعرة لدور المرأة بعد أن خرجت للعمل، وتبوأت المناصب العليا وحاولت تصوير حقيقة مشاعرها، وقد أحبت الرجل بكل جوارحها، وأفصحت عن عشقها وعذاباتها بسبب هذا العشق، فهي تقول[2]:

أَتَدْرِي بِأَنِّيِّ أَذُوبُ حنينًا إِلَيْكَ

(*) نازك الملائكة، شاعرة عراقيّة من مواليد بغداد عام 1923، تخرّجت من دار المعلّمين العالية ببغداد، وحصلت على الماجستير والدكتوراه من الولايات المتحدة، وأجادت اللغات الإنكليزية والفرنسيّة والألمانيّة واللاتينية، عملت أساتذة جامعيّة لأكثر من خمس وعشرين سنة، ومثّلت العراق في مؤتمر الأدباء العرب عام 1965، وحازت على عدد من الجوائز منها جائزة البابطين، ومنحت الدكتوراه الفخريّة من جامعة البصرة. وحلت نازك الملائكة عن عمر يناهز خمسة وثمانين عاماً في العاصمة المصريّة، ودفنت فيها بتاريخ 2007/6/21، كان أكثر ما يميز نازك الحزن والشجن الرومانسي المشوب بالنزعة الإنسانية، والذي رافقها منذ طفولتها، وكذلك تمردها الذي غدا طبيعة فيها، فكان بحاجة للبحث فيه والكتابة عنه، لقد اتخذت في هذا الكتاب منحىً آخر، فجاءت منهجيته في قسمين، وتضمن القسم الأول حياتها ونشأتها ودراستها ونشاطها الادبية والاجتماعية. أما القسم الثاني وقد خصص لمجموعات الشاعرة الشعرية، ورتب حسب تواريخ إصدارات الدواوين مع مقدمة مختصرة..

[1] نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، دار العودة– بيروت، ج2، 1997م، ص 552.

[2] لميعة عباس عمارة، أغاني عشتار، طبع المؤسسة التجارية– بيروت، 1969م، ص 84– 85.

وَأَهْفُو لِأَدْنَى خَبَرٍ
تُصَدِّقُ إِنْي أَأَرَقُ حَتَّى الصَّبَاحِ
أَلَوْنٌ مِنْكَ الْفِكْرَ
أَتَعَلُّمُ أَنَّ عِنَادِيَّ ضَبَابٍ،
وَهِجْرِيَّ رياء
وَأَنَّ الَّتِي تَتَجَنَّى عَلَيْكَ
تَمَنَّى لِقَاءٌ.

ثم تفصح الشاعرة أن وراء كبريائها شوقًا يجرها إليه، ودموعًا تذرفها لأجله، ولهفة عليه لأنها تحبه بل تعشقه في كل حالاتها النفسية التي تعيشها في هربها، في افتعالها الخصام، وحتى في ابتعادها عليه؛ لأنها حين تبعد عنه فإن هذا البعد ليس دليلاً على عدم اكتراثها به بل لتدل على عشقها له، ذلك العشق الذي أصبح لها حقيقة تدركها وتعيشها في كل لحظة، ولكنها تكتم ذلك فتناجيه قائلة[1]:

دموعًا ذَليلَةَ
وَرَوْحًا تُسِيلُ عَلَى راحتيك
وَتَبْدُو بَخِيلَةُ
أَحُبَكٌ، يَكْذِبُ زَمُّ الشِّفَاهِ
وَيَهْذِي عِنَادِيٌّ،
أَحَبَّكَ فِي هَرَبِيٍّ، وَافْتِعَالَ الْخِلَافِ
وَطُولَ اِبْتِعَادِي
وَكُنْتُ أَمَوَّهَ وَجْهُ السَّمَاءِ
وَأَكْتُمُ عِطْرَي
وَأَغْمَضَ عَيْنِيٌّ عَمَّا أَحِسُّ
لِتَجْهَلَ أَمْرَي

نجد الشاعرة رسمت صورة المرأة العاشقة بأسلوب الاستفهام الاستنكاري "أأبصرت" وتشرع بسرد معاناتها وتزاحم مشاعرها وربطها بحرف العطف الواو، وقد كررت "أحبك" لتبين قوة عشقها وعنفه، فالتكرار هنا حقق أغراضًا تعبيرية؛ لأنه الحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها[2]، والغرض منه ابراز حالة شعورية خاصة ألمت بالشاعرة، فهي لا تستطيع أن تعيش بدون من تحب، وتؤكد شدة سيطرة حالة العشق عليها بذكرها "وأكتم عطري"، و"أغمض عيني" وتعود لكبريائها حين تقول "لتجهل أمري".

وفي قصيدة "بغداد أنت" تخطت الشاعرة لميعة عباس عمارة حدود بغداد لتجعل من حبيبها عطاءًا ممتدًا على طول الأزمنة والعصور فهو الأرض بكل ما فيها من أنهار وجبال وزروع، إذ تقول[3]:

وَبَغْدَادُ أَنْتَ، إِذَا شَطِّ بِي
حِصَادَ الْمُرُوءَاتِ مِنْ بَذْرِهَا

[1] المرجع نفسه ص 86.
[2] نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العودة– بيروت، 1962م، ص 242.
[3] لميعة عباس عمارة، لو أنبأني العراف، مرجع سابق ص 35.

وَرَيِّقَ أنِيقَ رَهِيفَ الصُّورِ
تَمْدُدْ عَبْرُ الزَّمَانِ السَّحِيقِ
وَأَنْتَ..
جِنَّانُ جِبَالِ الشَّمَالِ
تُفَجِّرُ سَلْسَالُهَا وَانْهَمَرَ
وَعَيَّنَاكَ دِجْلَةُ غفو الْغُرُوبَ
عَلَى الشَّاطِئَيْنِ، وَلَيْلَ السَّمَرِ

فالشاعرة اختارت ألفاظ رقيقة "ريق أنيق، جنان جبال الشمال، غفو الغروب، ليل السمر" للدلالة على صورة العاشقة الهائمة، فهذا التمازج اللفظي أسهم في تأدية المعاني الرقيقة وبلورتها بشكل واضح.

ففي قصيدة لنازك تمزج الحب بالذكرى الضائعة، إذا استحال الحبيبان إلى غريبين، فتقول[1]:

لَمْ يَكُنْ يُعَرِّفُنَا الْأَمْسُ رَفِيقِينَ...
فَدَعْنَا
نَطْفِرُ الذِّكْرَى كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا مِنْ صَبَانَا
بَعْضَ حُبٍّ نَزِقٍ طَافٍ بِنَا ثُمَّ سَلَانَا

كما أن نازك تفلسف الحب، فلا نشر بأنها تتغنى به لذاته، وإنما لأنه يصدر عنها، فلا نحس بتأثير الحبيب عليها، وإنما بتأثيرها هي، فها هي تجعله يضفي الحياة على الأموات رغم أنها تتحدث عن قتيل غير حقيقي، فتقول[2]:

وَارْسَلْ حُبَّي يَلُفُّ الْقَتِيلُ
ويدفي جَبْهَتَهُ الْهَامِدَةَ
لِعَلَّى أَرِدْ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ
وَأَمْسَحُ مِنْ زُرْقَةِ الشَّفَّتَيْنِ

فحبها من وجهة نظرها يعد مصدرًا للدفء والحياة حتى لمن فقد حياته.

على الرغم من تحفظ نازك الملائكة في شعرها تبدي انشدادًا وانتشاء بذكرى غرام قديم لا يزال يمتد إلى يومها الراهن، فتقول[3]:

وَكَنَّا لَهُ بِأَنَاشِيدِنَا ... وَأَشْوَاقِنَا الْمَرِحَاتِ الْوِضَاءِ
وَمِنْ أَجَلِهِ قَدْ هَوَيْنَا الْحَيَاةَ ... وَمَنْ أَجَلِهِ قَدْ عَشِقْنَا الْغِنَاءَ
وَهَا نَحْنُ بَيْنَ ذِرَاعِيُّ ثَرَاهِ ... نَشِيدَيْنِ لَا يُعَرِّفَانِّ اِنْتِهَاءٌ
يُعَشِّشُ فِي تَرْبِتِينَا الْجَمَالَ ... فِيَا جَهْلَ مَنْ ظَنَّنَا أشقيَاءٌ

ونجد أيضًا نازك وهي الأكثر رصانة في التعبير عن كوامنها تثور حانقة في وجه رجل تصرح بكراهيته قائلة[4]:

---

[1] نازك الملائكة، ديوان الملائكة، ج2، مرجع سابق ص 120.
[2] نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، ج2، مرجع سابق ص 150
[3] المرجع نفسه، ج2، ص 440.
[4] المرجع نفسه، ج2، ص 71.

وَأَبْغَضَتْكَ لَمْ يَبْقَى سُوءُ مَقْتِي أُنَاجِيهِ وَأَسْقِيهِ دِمَاءَ غَدِي وَأَغْرَقَ حَاضِرِيٍّ فِيهِ
وَأَبْغَضَتِ اِسْمُكَ الْمَلْعُونُ وَالْأَصْدَاءُ وَالظِّلَّا كَرَّهَتِ اللَّوْنُ وَالنَّغْمَةُ والايقاع وَالشَّكْلَا
وَتِلْكَ الذِّكْرَيَاتِ الْخَشِنَةِ الْمَمْقُوتَةِ الْفَظَّةِ هَوَتْ وتآكلت وثوت فِي الْآبَادِ فِي لَحْظَةِ

هذه الأبيات أشبه بقذائف مدفعية ساخطة توجهها الشاعرة تجاه تلك الذكرى المقيتة، وتدجج المقطع بألفاظ نارية تشع النقمة والسخط في أعلى درجة "دماء، المعلون، خشنة، ممقوتة، فظة، ثوت".

وعندما يترأى لها الماضي متوثبًا كأنه يريد الانبعاث لكنها تخمده رافضة تجديد ذلك العهد الأليم فقد قامت الأسوار ونمت الحدود بين القلبين، ويكفي أن يظل هذا الحب مجرد ذكرى، فتقول[1]:

إِنَّهُ الْأَمْسُ إِذَنْ عَادَ لِيُحَيَّا مِنْ جَدِيدٍ
إِنَّهُ عَادَ إِذَنْ يُطْرِقُ أَبْوَابُ شُرُودِي
أَسَفًا يَا شَبَحِيَّ عَدِّ لِلتُّرَابِ
لَمْ يَعُدْ يَرْبِطُنَا إِلَّا رُكَامٌ مِنْ حُدودٍ
هُوَّةً أَعْمَقُ مِنْ ذَنْبِكَ مَاذَا
قَدْ تَبْقَى لَكَ عُنْدِيٌّ غَيْرِ هَذَا؟
غَيْرَ ذِكْرَى عَبَّرَتْ يَوْمًا وَمُرْتُ بِوُجُودِيّ

ويتسم اللقاء بالفتور، وتلتف المشاعر بالبرود حتى عند التقاء الكفين، فتقول[2]:

وَنَلْتَقِي فَتَسْكُتُ النَّجْوَى وَنَكْتُمُ الْأَنْفَاسَ
وَضَحْكَةً تَبْدُو بِلَا جَدْوَى يُنْقِصُهَا الْإِحْسَاسُ
وَتَلْتَقِي الْكَفَّانِ أَيْنَ الرِّغَابِ وَرَعَشَةِ الْأَشْوَاقِ
أَصَابِعَ مِيتَةِ الْأَعْصَابِ لَيْسَ لَهَا أَعْمَاقٌ

كل شيء أصبح مواتًا وتصخرًا، تلك الثورة العارمة بالأمس أصبحت رمادًا يتناثر هباءً في الهواء.

ولك تكن نازك وحدها في هذا الميدان بل تقف إلى جانبها أخريات مثل ملك عبد العزيز تطالعنا بالشعور ذاته في قصيدة "لو مرة"[3]:

لَوْ قَشَّةَ جَاءَتْ إِلَى دَرْبِنَا
مِنْ دَارِ مَحْبُوبٍ لَنَا مَرَّةً
يَحْمِلُهَا لِحَيِّنَا طَائِرٌ
مُهَفْهَفَ الرِّيشِ
مُنَغَّمَ النبره
تَسْأَلُنَا –يَا لَيْتَ–
عَنْ حَالِنَا
وَعَنْ قَدِيمِ الشَّوْق
لَوْ مَرَّةً

[1] نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، ج2، مرجع سابق ص 76.
[2] المرجع نفسه، ج2، ص 76.
[3] ملك عبد العزيز، الأعمال الكاملة، مكتبة مدبولي– القاهرة، دون سنة النشر، ص 690.

تعلق بائس بأية بارقة أمل، أنها تنتمي لو قشة تأتي من صوب المحبوب، لكنها تعرض رثاثة المرسل (القشة) بتزويق وسيلة الارسال "طائر مهفهف الريش منغم النبرة"، ثم إن المقطع قصره زاخر بأدوات التمني (لو، يا ليت، لو)، ولكن الأمنية الخجلى تتحول إلى طلب صريح في قصيدة (ما تبقى من العشق)[1]:

أَعْطِنِّي مَا تَبَقَّيْ مِنَ الْعِشْقِ
مَا زَالَ فِي الْقَلْبِ عَرَقٌ يُغَنِّي
وَمَا زَالَ فِي الْقَلْبِ شَوْقٌ لِرُؤْيَا الْحَبِيبِ

هذا العرض السافر يتخلص من كبرياء الأنثى فيرضى بأقل القليل "ما تبقى من العشق"، ولا يشترط حبًا خاصًا يدور دورة كاملة في فلك هذه المرأة.

ونجد الشاعرة ملك عبد العزيز تمدح حبيبها، فتقول[2]:

أَرَاكَ
زُرْقَةَ السَّمَاءِ
عُمْقَ الْبَحْرِ
رَجْفَةَ الْإِعْصَارِ
وَاشْتِعَالَ النَّارِ
وانثيال النَّبْعَ
والسهول الْخَصِبَةَ الْمَدِيدَةَ
تَعَوُّذٌ لِي
أَرَاكَ
السَّمْتَ
وَالصَّوْتَ
وَالْإِبْتِسَامَةَ

وهنا نرى ملك عبد العزيز(*) تقف على لقطات متألقة تحاكي تألق الحب المائج في أعماقها، فليس هو البحر أو السماء أو النبع، وإنما هو "عمق" البحر، و"زرقة" السماء، و"انثيال" النبع، بل إنها تتقدم خطوة أبعد عندما تعكسه في مجردات "السمت، الصوت، الابتسامة" فتمثل شفافية تلك الروح الحالة في كل مكان وفي كل شيء.

3. المرأة المناضلة

[1] ملك عبد العزيز، الأعمال الكاملة، مرجع سابق ص 705.

[2] المرجع نفسه ص 653.

(*) ملك عبد العزيز ولدت في عام 1921، والتحقت بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصلت على ليسانس اللغة العربية عام 1942م، وشغلت عدة مناصب إدارية كمنصب رئيس التحرير بمجلة الشرق "1965- 1980"، وعضوية المجلس الأعلى للثقافة "لجنة الشعر"، ونقابة الصحفيين، والنقابة العامة لاتحاد كتاب مصر، ومجلس السلام العالمي، والجمعية العربية للتكامل الثقافي، إلى جانب مشاركتها في الكثير من المهرجانات الشعرية داخل مصر وخارجها، تركت الشاعرة المصرية ملك عبد العزيز عبدالله، عددا من الدواوين الشعرية منها ديوان "أغاني الصبا" والذى صدر في عام 1958م، وديوان "قال المساء" والصادر في عام 1966، وديوان "بحر الصمت.. أن ألمس قلب الأشياء"، والذى صدر في عام 1974، وديوان "أغنيات لليل" الذى صدر في عام 1978م"، كما كان لها مجموعة قصصية صدرت في عام 1962م تحت عنوان "الجورب المقطوع".

للمرأة المناضلة نصيب في شعر لميعة عباس عمارة لا سيما وأن الحقبة التي عاشت فيها الشاعرة شهدت كثيرًا من الثورات والانتفاضات العربية في أغلب الدول العربية، وكان للمرأة دور متميز فيها، فقد تميز شعر لميعة بشدة التعاطف والاحساس السياسي بالواقع والرغبة في تغييره، وإحداث الثورة والانقلاب وتمجيدها لابطال هذه الثورات، وقد قالت شاعرتنا في دور المرأة في النضال[1]:

إِنَا بِنْتَ النِّصَالِ، أَرْضَعَتْنِي الْجُوعُ
وَأَوْهَى مَفَاصِلِيُّ الْحِرْمَانِ
خُضْتُهُ، غَصَّةً، فَفِي كُلِّ فَجٍّ
مِنْ حَيَّاتِيٍّ، مَجْرَى دَمٍ وَسِنَانٍ وَتَلَفُّتٍ،
يَسْتَرِقُ الْجُرْحُ مِنْ صَدْرِيٍّ
خضيبًا، وَيَدَّعِيهِ الْجُبَّانِ
فَهَنِيئًا لِلْمُدَّعِينَ الْبُطولَاتِ
لهم مَرْقَصٌ عَلَيْهَا دُخَانٌ

لقد ارادت الشاعرة أن تنقل المرأة من دهاليز الحريم إلى الهواء والشمس حيث النقاء؛ لأن المرأة حين تتحول إلى ضحية تتقاطعها الأظافر ينتفي وجهها الحضاري، وتنتفي أية صيغة إنسانية للحوار.

وتسجل الشاعرة في مجموعة "الزاوية الخالية" حسها القومي تجاه الوطن العربي الكبير وقضاياه المصيرية، وهي بذلك تختار طريقًا خطرًا لأنها صاحبة رسالة ومبدأ التزمت بهما ووقفت عمرها جاهدة تناضل من أجلها: الوطن بالمرأة، والمرأة متمثلة بالوطن، فهي تستنكر ما حدث للمناضلة "جميلة بوحريد" رمز المناضلات العربية قائلة[2]:

وَأَصْرُخُ مَجْنُونَةً: لَنْ يَكُونَ
وَلَنْ يُسَلِّمُوا جَيِّدَهَا لِلْمَنُونِ
أَتُسْبَى حَرَائِرُنَا الثَّائِرَاتُ
وَتَقْبَعُ اسادنا فِي سُكُونٍ
مَعَاذَ الْبُطولَةِ
وَلَيْكَ أَلْفًا جَمِيلَةَ

ونلاحظ أن شاعرتنا تستكر ما يحدث باستعمالها الفعل المضارع المنفي بـ"لن" فنقرأ "لن يكون" و"لن يسلموا"، وتستمر في قصيدتها المملوءة بشحنات الضمود والتحدي من أجل البقاء وبناء الغد، فالثورة في دم الشاعرة والحرية قدر مقدر عليها، فالثورة والحرية أورثتاها التمرد على القديم البالي، ودفعها إلى التجديد للأفضل، فتقول[3]:

بِكُلِّ دَمَانًا، وَثَوْرَةَ أَحْقَادِنَا
سنملأ قَلْبَ الْحَيَاةِ لِأَوْلَادِنَا
سَلَامًا وَلَحْنًا وَعِطْرًا
وَنُورًا يُضِيءُ مَسَالِكُ أَحْفَادِنَا

[1] لميعة عباس عمارة، لو أنبأني العراف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، 1980م، ص 56.
[2] لميعة عباس عمارة، الزاوية الخالية، مرجع سابق ص 97.
[3] المرجع نفسه ص 97.

سَنَجْتَثُّ كُلَّ دَخِيلَةٍ
وَنَهْتِفُ: ثَأْرُ جَمِيلَةُ

4. المرأة الكادحة، والتمرد على المجتمع

وهي المرأة المفضلة كما رسمتها لنا لميعة وأفنت ملكاتها الشعرية من أجل نصرتها، وذوبت أيام عمرها لكي تنتزعها من مقاصير الحريم، وأقبية المتعهدين إلى ملاعب الشموس، اتخذتها لتشارك في الحياة التي وجدت من أجلها بعد أن طال ليل تعطيلها وتعويقها عن الدور الكبير الذي يجب أن تؤديه، فترسم لنا لميعة صورة ممعنة في الواقعية تلك هي صورة "الخبازة" الكادحة تعمل طوال النهار بجهد لتعيش من صنع أرغفة الخبز، وهي ترى إن عمل هذه المرأة يفوق في أهميته عمل الشاعرة لأنه يغذي كل المساكين والجياع، فتقول[1]:

تَمَنَّيْتُ شِعْرَي كَتَنُّورِكُمْ
تَسْتَدِيرُ الْحُروفُ بِهِ أَرْغِفَةٌ
تُغَذِّي الْمَسَاكِينُ
كُلَّ الْجِيَاعِ عَلَى الْأَرْصِفَةِ
وَلَكِنَّ شِعْرَي وآسفاه
يَظِلُّ حروفًا
تَرَفُّ عَلَى الشِّفَّةِ الْمُتْرَفَةِ

هكذا صورت المرأة الكادحة وهي حرة أبية النفس، تثور على جلاديها، والذين يسرقون حريتها، والشاعرة تطمح في أن ترى المرأة طبيعية بعيدة عن التبرج والزينة، رقيقة عميقة كالبحر، واضحة كالشمس ذات كبرياء وعنف مقبول يحفظ على أنوثتها وخبرة المجربة الحكيمة وفطرة المرأة السليمة.

كانت تعاني نازك الملائكة في المجتمع العربي غربتين: يصنع احداهما وجودها في سلسلة الشعر العربي الذي يمكن عده منتوجًا رجاليًا صرفًا تقل فيه بشكل واضح نسبة الشاعرات ويتكيف الخطاب الشعري تبعًا لذلك ليناسب هذه الرجولية التي لصقت بالقصيدة العربية وتركت مزاياها النوعية وبعض القوانين التي تعمل داخل هذه القصيدة على مستوى البنى وكذلك شروط العمود الشعري، أما الغربة الثانية التي تزيد عن الأولى حدة وكثافة في وجودها في الكون الرجولي المخلوق بتواطؤ اجتماعي يتسيد فيه الرجل حتى يمكن وصف مجتمعنا العربي بأنه "مجتمع نصفي" أي أن نصف المجتمع يسيطرون على مرافق الحياة كلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية[2].

وفي حواريتها الثنائية مع الذات تستشهد نازك بقصيدة "وجوه ومرايا" التي أسمتها بـ"الفقاعة السوداء" تنفجر في وجوه المنتظرين أن تكتب لهم عن السعادة التي لا تؤمن بوجودها أو إمكان تحققها وذلك مسرب آخر لوجه أنثوي لا يرى إمكان تحرير المرأة لأن لا العالم يديره قدر غامض لا يمكن مجابهته[3]، إن ذلك لا يعني التسليم باستلاب الحرية أو اليأس بل محاولة التكيف للعيش ضمن هذه الشروط والهروب إلى ما أسميناه البدائل الممكنة كالحلم والنكوص إلى الطفولة أو تركيز الجنسوية الأنثوية، وعلى مستوى الفن تحاول الشاعرة العربية هجاء الحياة

[1] لميعة عباس عمارة، عراقية، دار العودة- بيروت، 1971م، ص 33.
[2] أنور عبد الملك، دراسات في الثقافة الوطنية، دار الطليعة- بيروت، 1967م، ص 69.
[3] سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، دار أسامة- عمان، 1997م، ص 70.

المحيطة بها من خلال ذاتيها وعزلتها أو ما أسمته نازك في وقت مبكر بالفراغ، وفي قصيدة بعنوان "في وادي العبيد"[1] تصنع نازك ترميزًا فذا لما حولها من عبودية يرسف فيها الرجل مغلولاً كالمرأة تقول:

لَا أُرِيدُ الْعَيْشَ فِي وَادِي الْعَبِيدَ
بَيْنَ أَمْوَاتٍ...
وَإِنَّ لَمْ يَدْفِنُوا
جَثَّتْ تَرْسِفُ فِي أَسْرِ الْقُيُودِ
وَتَمَاثِيلَ اِحْتَوَتْهَا الْأَعْيُنُ
آدَمِيُّونَ وَلَكِنَّ كَالْ قُرُودِ
وَضِبَاعَ شَرِسَةَ لَا تُؤَمِّنْ
أَبَدًا أَسَمِعَهُمْ عَذْبَ نَشِيدِيُّ
وَهُمْ نَوْمُ عَمِيقُ مُحْزِنُ

ويلاحظ القارئ تصدر صيغة النفي لهذا المقطع مقرونًا بالإرادة، ونفي الإرادة "لا أريد" ترميز قوي لرفض القدر الذي قضي للشاعرة "بالعيش"، في هذا الواد المضاف إلى "العبيد"، فالنفي إذن منصب على العيش بما يعنيه من استهلاك وآلية، وليس الحياة بما فيها من قيم وأمنيات ولذائذ، وهكذا نجد الشاعرة تسلب سكان هذا الوادي كل الفضائل: فهم عبيد وجثث وأموات دون دفن.

في قصيدة نازك "غسلاً للعار" تضيق بمفهوم العار الذي يكيله رجال القبيلة بمكيالين، فبعد أن وصفت استغاثات فتاة، ثم قتلتها غسلاً للعار، توجهت بالسخرية من أولئك الذين طبقوا عليها الحد، وينسون غرقهم بالعار تقول ساخرة من ادعائهم الفضيلة، فتقول[2]:

وَيَعُودُ الْجَلَّادُ الْوَحْشِيُّ وَيَلَقِيُّ النَّاسِ
الْعَارِ؟ وَيَمْسَحُ مُدْيَتُهُ مَزَّقَنَا الْعَارِ
وَرَجَعَنَا فُضَلَاءٌ، بَيَّضَ السُّمْعَةُ أَحْرَارٌ
يَارَبِّ الْحَانَةَ، أَيْنَ الْخَمْرِ؟ وَأَيْنَ الْكَأْسِ؟
نَادٍ الْغَانِيَةِ الْكَسْلَى الْعَاطِرَةِ الْأَنْفَاسَ
وَسَيَأْتِي الْفَجْرُ وَتَسْأَلُ عَنْهَا الْفَتِيَّاتِ
وَسَتَحْكِي قِصَّتُهَا السَّوْدَاءُ الْجَارَاتِ
وَسَتَهْمِسُهَا حَتَّى الْأَحْجَارِ
غُسْلًا لِلْعَارِ غُسْلًا لِلْعَارِ

هكذا كان موقف رجال القبيلة يتولون هم التنظيف والغسل لتكون سمعتهم وثيابهم بيضاء بينما نساؤها تلطخ سمعتها بالسواد في توظيف مقصود من الشاعرة للون، وربطه بالسمعة التي تحرص عليها القبيلة، لكن بمقاييس مزدوجة، فما يطبق على المرأة من قوانين صارمة يطبقها الرجال، لا تطبق عليهم أنفسهم ثم توجهت الشاعرة إلى نساء القبيلة منبهة ومحذرة، فتقول[3]:

[1] نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، ج12، مرجع سابق ص 482.
[2] ديوان نازك الملائكة، ج2، ص 351– 353.
[3] ديوان نازك الملائكة، ج2، ص 353– 354.

يَا جَارَاتِ الْحَارَّةِ، يَا فَتَيَاتِ الْقَرْيَةِ
الْخُبْزَ سَنَعْجُنُهُ بِدُموعٍ مآفينا
سَنَقُصُّ جَدَائِلَنَا وَسَنُسَلِّخُ أَيْدِيَنَا
لِتَظِلَّ ثِيَابُهُمْ بِيضَ اللَّوْنُ نَقِيَّةً
لَا بَسَمَةٌ، لَا فَرَحَةٌ، لَا لَفْتَةٌ فَالْمُدِّيَّةُ
تَرَقَّبَنَا فِي قَبْضَةٍ وَالِدَنَا وَأَخِينَا
وَغَدَا مَنْ يَدْرِي أَيُّ قِفَارٍ
سَتُوَارِينَا غُسْلَا لِلْعَارِ

إنها في خطابها هذا الموجه إلى نساء القرية، لم تنأ بنفسها عن القضية، فالمدية تنتظر وغسل العار هو القضية الأهم عند رجال القبيلة.

خاتمة الدراسة:

من خلال دراستنا اتضح أن أهم القضايا الموضوعية التي عالجتها الشاعرات موضوع الدراسة، ونتوصل إلى النتائج الآتية:

1. استطاعت المرأة المعاصرة أن تقتحم ميدان الابداع وتضع لها مكانًا بارزًا فيه، وتركت بصماتها واضحة بها خلفت من نتاج شعري ذي ملامح خاصة تمنحه هوية مستقلة تميزه عن نظيره من ابداع الرجل.
2. ملكت الشاعرات خيالاً خصبًا، واتضح ذلك من خلال الأبيات الشعرية التي تم عرضها، وتم تشكيلها على طريقتهم الأنثوية الخاصة، بالإضافة إلى جمالية الحوار في شعرهم.
3. اخترقت المرأة الشاعرة جدار الصمت عندما باحت بمشاعر الحب تجاه الرجل، وهو بوح سبق بالتردد بين الخجل والكتمان حتى وصلت إلى مرحلة الإعلان الصريح عن مشاعرها.
4. إن صورة المرأة الأم هي أكثر الصور تميزًا عند الشاعرات وخصوصًا عند لميعة عباس عمارة، وربما ذلك يرجع إلى محاولة المرأة الخروج على كل ما يبقيها حبيسة النظرة القديمة حتى تحللت من بعض مكوناتها الفطرية الأصلية وأعظمها الأمومة.
5. اجتاحت المرأة مجالات العمل، فشاركت المرأة الرجل الكفاح وتكبل المهام الرجالية، وكذلك شاركته النضال في الثورات.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

1. إبراهيم محمد صبيح، الطفولة في الشعر الحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع– الدوحة، 1985م.
2. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الشركة الدولية للطباعة– 6 أكتوبر، القاهرة، دون سنة النشر.
3. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية– بيروت، 1419هـ.
4. أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر– القاهرة، 1979م.
5. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار احياء التراث العربي– بيروت، 1419هـ/ 1999م.
6. أنور عبد الملك، دراسات في الثقافة الوطنية، دار الطليعة– بيروت، 1967م.
7. بثينة شعبان، مئة عام من الكتابة النسائية العربية 1899/ 1999، دار الآداب للنشر والتوزيع– بيروت، ط1، 1999م.
8. جليل رشيد فالح، فن الالتفات في مباحث البلاغيين، آداب المستنصرية– بغداد، العراق، 1984م.
9. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار احياء التراث العربي– بيروت، 1419هـ/ 1999م.
10. زكريا إبراهيم، سيكولوجية المرأة، مكتبة مصر– القاهرة، دون سنة النشر.
11. ريان فوث، النسوية والمواطنة، ترجمة: أيمن بكر، المجلس الأعلى للثقافة– القاهرة، 2004م.
12. سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، ترجمة: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة– القاهرة، 2002م.
13. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني– بيروت، 1405هـ/ 1985م.
14. سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، دار أسامة– عمان، 1997م.
15. طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربية– الدار البيضاء، المغرب، 2002م.
16. طوني بينيت وآخرون، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، مفاتيح اصطلاحية جديدة، المنظمة العربية للترجمة– بيروت، ط1، 2010م.
17. عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، كتاب البديع، تحقيق: اغناطيوس كراتشفوسكي، دار المسيرة– الكويت، دون سنة النشر.
18. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة– بيروت، 1419هـ/ 1989م.
19. لتد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير– ليبيا، دون سنة النشر.
20. لميعة عباس عمارة، أغاني عشتار، طبع المؤسسة التجارية– بيروت، 1969م.
21. لميعة عباس عمارة، الزاوية الخالية، مطبعة الرابطة– بغداد، 1959م.
22. لميعة عباس عمارة، عراقية، دار العودة– بيروت، 1971م.
23. لميعة عباس عمارة، لو أنبأني العراف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، 1980م.

24. مجدي وهبة، كامل المهندي، معجم المصلحات العربية في اللغة، مكتبة لبنان– بيروت، 1979م.
25. المجمع اللغوي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية– القاهرة، 1425هـ/ 2004م.
26. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت، دون سنة النشر.
27. محمود السيد شيخون، البلاغة الوافية، مكتبة الكليات الأزهرية– الأزهر، القاهرة، 1988م.
28. ملك عبد العزيز، الأعمال الكاملة، مكتبة مدبولي– القاهرة، دون سنة النشر.
29. نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة، دار العودة– بيروت، 1997م.
30. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العودة– بيروت، 1962م.

ثانيًا: المقالات والمجلات العلمية:

1. رشا أبو بكر سعد غانم، الشعر النسوي في العراق "قراءة في تحليل الخطاب الشعري"، المجلة العربية مداد، العدد السادس، إبريل 2019م.
2. فوزية بنت ناصر العندس، قضايا المرأة عن الشاعرة العربية المعاصرة: أربع شاعرات نموذجًا، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل– العلوم الإنسانية والإدارية، مج 18، العدد الثاني، 2017م.
3. منى صالح حسن الدجيلي، صورة المرأة عند الشاعرة لميعة عباس عمارة، جامعة الكوفة– كلية التربية للبنات، دون سنة النشر.

References

First : Books :

1.Ibrahim Mohammad Sabeih, Childhood in Modern Poetry, House of Culture for Publishing and Distribution - Doha, 1985 AD.
2. Abu al-Qasim al-Zamakhshari, the principle of rhetoric, The General Authority for Cultural Palaces, International Printing Company - October 6, Cairo, without publication year.
3. Abu Hilal Al-Askari, The Book of the Two Industries, Writing and Poetry, investigated by: Ali Mohammad Al-Bajawi, Mohammad Abu Al-Fadhl Ibrahim, Al-Asriya Library - Beirut, 1419 AH.
4. Ahmed Ibn Fares, Language Standards, investigation: Abdul Salam Haroun, Dar al-Fikr - Cairo, 1979.
5.Ismail bin Hammad Al-Johari, Al-Sahah, House of Reviving the Arab Heritage - Beirut, 1419 AH / 1999 AD.
6. Anwar Abdul Melik, Studies in National Culture, Dar Al-Tali'a - Beirut, 1967 AD.
7. Buthaina Shaaban, One Hundred Years of Arabic Women's Writing 1899/1999, Dar Al-Adab for Publishing and Distribution - Beirut, 1st Edition, 1999 AD.
8. Jalil Rashid Faleh, The Art of Paying Attention in the Rhetoricians Researches , Literatures of Al-Mustansiriya - Baghdad, Iraq, 1984 AD.
9. Jamal Ad-Din Ibn Mandhur, Lisan al-Arab, House of Reviving Arab Heritage - Beirut, 1419 AH / 1999 AD.
10. Zakaria Ibrahim, Psychology of Woman, Library of Egypt - Cairo, without publication year.
11. Ryan Foth, Feminism and Citizenship, translated by: Ayman Bakr, The Supreme Council of Culture - Cairo, 2004 AD.

12. Sarah Jamble, Feminism and Post-Feminism, Studies and Critical Dictionary, translated by: Huda Al-Sadda, The Supreme Council of Culture - Cairo, 2002 AD.
13. Saeed Alloush, A Dictionary of Contemporary Literary Terms, The Lebanese Book House - Beirut, 1405 AH / 1985 AD.
14. Simone de Beauvoir, The Other Gender, Dar Osama - Amman, 1997.
15. Taha Abdul Rahman, The Arab Right to Philosophical Difference, The Arab Cultural Center - Casablanca, Morocco, 2002 A.D.
16. Tony Bennett and others, A Dictionary of Terms of Culture and Society, translated by: Saeed Al-Ghanimi, New Idiomatic Keys, The Arab Organization for Translation - Beirut, 1st Edition, 2010 AD.
17. Abdullah bin Mohammad Ibn Al-Mu'taz Al-Abbasi, Al-Badi' Book, Investigation: Ignatius Kratschewski, Dar Al-Masira - Kuwait, without publication year.
18. Al-Fayrouz Abadi, Al Muheet Dictionary, Investigation: Heritage Investigation Office, Al-Resala Foundation, Supervised by: Mohammad Na'eem Al-Arqossi, Al-Resala Foundation - Beirut, 1419 AH / 1989 AD.
19. Led Hondrich, The Oxford Handbook of Philosophy, translated by: Najib Al-Hasadi, National Research and Development Office - Libya, without year of publication.
20. Lamia'a Abbas E'mara, Ashtar Songs, printed by the Commercial Corporation - Beirut, 1969 AD.
21. Lamia'a Abbas E'mara, the empty corner, Al-Rabita Press - Baghdad, 1959 AD.
22. Lamia'a Abbas E'mara, Iraqi, Dar Al-Awda - Beirut, 1971 AD.
23. Lamia'a Abbas E'mara, If the fortuneteller informs me, The Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, 1980 AD.
24. Majdi Wahba, Kamel Al-Mohandi, A Dictionary of Arabic Terms in the Language, Library of Lebanon - Beirut, 1979 AD.
25. Linguistic Compound, Intermediate Lexicon, Al-Shorouk International Library - Cairo, 1425 AH / 2004 AD.
26. Mohammad A'bed Al-Jabri, Contemporary Arab Discourse, Center for Arab Unity Studies - Beirut, without publication year.
27. Mahmoud El-Sayed Sheikhoun, Adequate Rhetoric, Library of Al-Azhar Colleges - Al-Azhar, Cairo, 1988 AD.
28. Melik Abdul Aziz, Complete Works, Madbouly Library - Cairo, without publication year.
29. Nazik Al-Malaika, Diwan of Nazik Al-Malaika, Dar Al-Awda - Beirut, 1997 AD.
30. Nazik Al-Malaika, Issues of Contemporary Poetry, Dar Al-Awda - Beirut, 1962 AD.

Second: Scientific articles and journals:
1. Rasha Abu Bakr Saad Ghanem, Feminist Poetry in Iraq, "A Reading in the Analysis of Poetic Discourse", The Arabic Journal Medad, Issue Six, April 2019 AD.
2. Fawzia bint Nasser Al-Andas, Women's Issues on the Contemporary Arab Poet: Four Poets as a Model, The Scientific Journal of King Faisal University - Humanities and Administrative Sciences, Vol. 18, No. 2, 2017.
3. Muna Saleh Hassan Al-Dujaili, The Woman's Image of the Poet Lamia Abbas Emara, University of Kufa - College of Education for Girls, without year of publication.